عنوان المداخلة: القيم الجمالية في كتاب "أصول الخطاب الفلسفي" لمحمود يعقوبي

Aesthetic Values in the book "The Origins of Philosophical Discourse" by Mahmoud Yaaqoubi

الأستاذة: ليندة صياد

الدرجة العلمية: أستاذة محاضرة أ

مؤسسة الانتماء: جامعة باجي مختار –عنابة–

عنوان النشاط: القيم الجمالية للنص التربوي في الفكر الإسلامي–الغرب الإسلامي أنموذجا–

المحور الخامس: تفعيل القيم الجمالية في النص التربوي التعليمي في المنظومة التربوية.

تاريخ النشاط: 05 / 11 / 2024

الجهة المنظمة: جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية / كلية أصول الدين/

الملخص:

نظرا لأهمية القيم الجمالية في الحياة الإنسانية، وحاجة الإنسان الفطرية للاستمتاع بها، أضحت محل تقدير واهتمام لدى الأمم والمجتمعات. حيث يدرك الإنسان بفطرته الجمال في المحسوسات (جمال الكون والطبيعة، جمال البشر، الأشياء في تناسقها وجاذبيتها...). لكن لا يقتصر الإحساس بالجمال وتذوقه على مجرد تأمل الطبيعة والوقوف عند حدود عالم المادة، بل يتعداه إلى عالم الفكر ويكون في الأفعال والعاطفة وجمال الأخلاق من العلم والحكمة والعدل. ومن أجل تفعيل القيم الجمالية في المنهج التربوي والتعليمي، وقع اختيارنا على كتاب "أصول الخطاب الفلسفي" (محاولة في المنهجية) لمحمود يعقوبي، وفيه يعرض صاحبه الأصول الضرورية التي ينبني عليها الخطاب الفلسفي سواء أكان مكتوبا أو شفهيا، وكذا موضوعه وخصائصه وطرق إثبات أطروحاته ومجاله (البرهنة والمحاجة).

الكلمات المفتاحية: القيم الجمالية – الخطاب الفلسفي – القيم الأخلاقية – التعليم.

Abstract :

Due to the importance of aesthetic values in human life, and the innate human need to enjoy them, they have become the object of appreciation and interest for nations and societies. Human beings instinctively recognize beauty in the senses (the beauty of the universe and nature, the beauty of people, the beauty of objects in their harmony and attractiveness...). However, the sense and taste of beauty is not limited to the mere contemplation of nature and standing at the boundaries of the material world, but extends to the world of thought, actions, emotion, and the beauty of morals such as science, wisdom, and justice.

In order to activate aesthetic values in the educational curriculum, we chose the book “Fundamentals of Philosophical Discourse” (An Attempt at Methodology) by Mahmoud Yaaqoubi, in which the author presents the necessary foundations on which philosophical discourse is based, whether written or oral, as well as its subject matter, characteristics, methods of proving its theses, and its field (proof and argumentation).

Key words : Aesthetic values - Philosophical discourse - Moral values – Education.

مـقـدمـــة:

لقد واجهت الجزائر بعد الاستقلال عدة أزمات، من بينها التخلف الاجتماعي، وكذا منظومة تعليمية أجنبية بعيدة عن واقعها من حيث الغايات والمبادئ والمضامين.[1] وإذا تأملنا تاريخ تدريس الفلسفة في الجزائر نلاحظ حجم المعاناة والهموم الفكرية التي اعترضت الأستاذ يعقوبي خلال تجربته في تدريس الفلسفة في جميع المستويات: المعرفية، المنهجية، المنطقية واللغوية، بالإضافة إلى نقص الوثائق التربوية والمصادر المعرفية التي يحتاجها المدرّس لأداء مهامه التعليمية والتربوية. ولهذا انتقد نوعية تدريس الفلسفة بعد الاستقلال حيث كانت البرامج فرنسية، وسعى إلى وضع نهاية لتلك البرامج الدراسية من خلال العمل على تعريب الفلسفة إذ كانت تُدَرّس باللغة الفرنسية.[2] ومن هذا المنطلق عمل على تحقيق مقصدين أساسيين هما: ردّ الاعتبار للغة العربية بوصفها ركيزة التفكير، وضرورة الاعتماد على المنطق كوسيلة للفهم والاستدلال الصحيح. فأين تتجلى المضامين الجمالية في كتاب "أصول الخطاب الفلسفي" لمحمود يعقوبي؟*[3]

---

[1]- شريف الدين بن دوبه: وجيز يعقوبي في الفلسفة، ضمن كتاب جماعي: محمود يعقوبي، شهادات ودراسات، منشورات مخبر التربية والابستمولوجيا، الجزائر، د ط، 2012، ص124.

[2]- المرجع نفسه: ص126.

*[3]-محمود يعقوبي من مواليد 10نوفمبر بمدينة الأغواط، حصل على الشهادة الثانوية بجامع الزيتونة بتونس، وشهادة ليسانس فلسفة من جامعة دمشق، وشهادة الماجستير في الفلسفة من جامعة الجزائر سنة 1992 بأطروحة عنوانها "نقد ابن تيمية للمنطق الأرسطي"، كما نال شهادة دكتوراه دولة في الفلسفة من جامعة الجزائر سنة 1994 بأطروحة عنوانها "مسالك العلة وقواعد الاستقراء عند الأصوليين وجون ستيوارت مل". يعتبر محمود يعقوبي من بين الأساتذة الأوائل الذين اشتغلوا بالحقل الفلسفي بالجزائر بعد الاستقلال، حيث سعى إلى وضع الأسس الأولى لتفكير فلسفي سليم، يبتدئ من مرحلة الثانوية ليصل إلى الدراسات العليا المعمقة، وذلك باختياره المنهج الفرنسي واعتماده في تدريس الفلسفة بالثانوية.

كما عمل مفتشا لمادة الفلسفة في التعليم الثانوي من 1969 إلى 1987، ثم أستاذا محاضرا بمعهد الفلسفة بجامعة الجزائر في الفترة 1987-1997، وبعدها أستاذا بالتعليم العالي بالمدرسة العليا للأساتذة. الكتب التي ألفها وترجمها الأستاذ محمود يعقوبي تجاوزت الثلاثين كتاب، وأغنت المكتبة باللغة العربية في المنطق والفلسفة، وسدت في حينها فراغا كبيرا في هذا المجال؛ لأن البرنامج الرسمي المعمول به آنذاك لا يختلف في مجمله عن برنامج التعليم الفرنسي، ولهذا أعدّ لهذا الغرض كتابين هما: الوجيز في الفلسفة للمترشحين لشهادة البكالوريا (طبع سنة 1968)، وكتاب آخر مكمل للأول هو المختار من النصوص الفلسفية، حيث ترجم فيه أغلب النصوص التي أخذها من كتب ومؤلفات كبار الفلاسفة الغربيين، إلى جانب نقل نصوص لفلاسفة مسلمين. هذا بالإضافة إلى الترجمة ألف كتابا مهما في فلسفة العلوم والميتافيزيقا جعله في أربعة أقسام

التعريف بالكتاب:

لقد صدر كتاب "**أصول الخطاب الفلسفي**" **(محاولة في المنهجية)** سنة 2009، عدد صفحاته 152 صفحة. أشار محمود يعقوبي في مقدمة هذا الكتاب إلى أنه موجه إلى الباحثين الناشئين في مرحلتي الدراسة الجامعية والدراسات العليا، ليوضح مبادئ ومنهجية البحث العلمي، وهي حصيلة خبرته العلمية المستخلصة من أعمال الفلاسفة الأصلاء، وكذلك بسبب اشتغاله بالبحث العلمي والأكاديمي وتدريسه لطلبة الماجستير لسنوات عديدة. وعليه أصبح لزاما على البحث الناشئ اتباع قواعد البحث العلمي حتى يتجنب العثرات، وتكون بمثابة معالم توجهه نحو غاياته، والسند الذي يلجأون إليه لتذليل الصعاب التي تواجههم، وذلك بعد تكييفها مع طبيعة مطالب البحث الفلسفي.[1]

وفي خاتمة الكتاب أشار إلى أن بلوغ الجودة في البحث الفلسفي يتطلب الممارسة والمعاناة وليس الحفظ والتقليد أو معرفة الشروط الخاصة به. وعليه لا بد من توفر القدرة على الفعل، وهي الروح الفلسفية.

وتضمن الكتاب عدة فصول عالجت جوانب مختلفة منها: مجال الخطاب الفلسفي وموضوعه، وعناصره، وطرق إثبات أطروحاته، وطريقة استعمال المصادر والمراجع لضبط مادة البحث.[2] وسنحاول في ورقتنا البحثية هذه، استخلاص القيم الجمالية في بعض محاور هذا الكتاب.

2. مجال الخطاب الفلسفي:

يعدّ الخطاب شكل من أشكال الممارسات التي تحكمها قواعد معينة، ولهذا نجد خطابات متنوعة ذات أبعاد متعددة في مجالات معرفية مختلفة منها: الخطاب الأدبي، الخطاب السياسي، الخطاب الديني، والخطاب العلمي، والخطاب الفلسفي وهو موضوع بحثنا.

بعنوان "خلاصة الميتافيزيقا" تناول فيه فلسفة المعرفة، فلسفة الطبيعة، فلسفة الوجود وفلسفة الألوهية. (جماعة من المؤلفين: محمود يعقوبي، شهادات ودراسات، منشورات مخبر التربية والابستمولوجيا، الجزائر، د ط، 2012، ص04)

[1] – محمود يعقوبي: أصول الخطاب الفلسفي (محاولة في المنهجية)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ط، 1993، ص05، 07.

[2] – المصدر نفسه: ص06.

الخطاب لغة:

في اللغة العربية وردت كلمة "خطاب" في معجم لسان العرب لابن منظور في مادة (خ ط ب) بمعنى الكلام، "الخطاب والمخاطبة: مراجعة الكلام بين طرفين، قد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطابا وهما يتخاطبان."[1] بمعنى الدخول في علاقة تخاطبية بين المخاطِب إلى المخَاطَب بغرض الإفهام والتبليغ. والتبليغ خطاب أساسه إنشاء الكلام من طرف المتكلم وفهمه من طرف المخاطب، وهما عمليتان لا انفصال لأحدهما عن الأخرى.[2] أما في اللغة الأجنبية وبالتحديد في القاموس الفرنسي فالخطاب "Discours" مصطلح كثر استعماله في مجال اللسانيات الحديثة وكذلك في اللغة وقواعدها ودلالاتها.[3]

الخطاب اصطلاحا:

تعددت تعريفات الخطاب من الناحية الاصطلاحية ولم تُجمع على تعريف واحد، ومن بينها تعريف عالم اللسانيات الفرنسي "إيميل بنفنيست" (1902-1976) Emile Benveniste حيث يقول: "الخطاب هو كل نطق أو كتابة تحمل وجهة نظر محددة من المتكلم أو الكاتب و تفترض نية التأثير على السامع أو القارئ، مع الأخذ بعين الاعتبار مجمل الظروف والممارسات التي تم فيها."[4]

نستنتج من هذا التعريف أن هناك جانبان يشكلان الخطاب هما: الكاتب والقارئ وكلاهما يساهم في نشأة الخطاب؛ لأن "الكاتب يريد أن يقدِّم فكرة أو وجهة نظر معينة في موضوع معيِّن، وهذا خطاب، والقارئ يتلقى هذه الفكرة أو الوجهة من النظر كما يستخلصها من النص، وهذا تأويل للخطاب أو قراءة له".[5]

لكن ينبغي التمييز بين مصطلحي "الخطاب" و"النص" (Texte)، فالخطاب "يفترض وجود سامع حاضر يتلقى هذا الخطاب، أي أن الخطاب مبني على تواصل حاضر مؤسسا على اللغة المنطوقة، أما النص فينتج لمتلقي غائب يتلقى هذا الخطاب بفعل القراءة...وبشكل عام يمكن القول إن كل خطاب نص، وكل نص حسب "بول ريكور" هو خطاب مثبت عن طريق الكتابة".[6]

---

[1]- ابن منظور: لسان العرب، مج1، دار التراث العربي، بيروت، د ط، د س، ص360.

[2]- طه عبد الرحمن: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، بيروت، المغرب، ط2، 2000، ص50.

[3]- Encyclopedia universalis, Editeur 1,Paris,1990,dic 59, P :1026

[4]- Emile Benveniste, Problèmes de L'linguistique générale, Gallimard, Paris,1974, P :13

[5]- محمد عابد الجابري: الخطاب العربي المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت،ط6 ، 1999، ص10.

[6]- داود خليفة: تحليل الخطاب في المناهج النقدية المعاصرة بين الفلسفة والأدب، مجلة دراسات في التنمية والمجتمع، مج 6، ع1، 2021، ص67.

مفهوم الخطاب الفلسفي عند محمود يعقوبي:

الخطاب الفلسفي "هو حديث عن ماهيات الأشياء أو عن عللها من أجل معرفة حقائق هذه الأشياء ومعرفة مصدرها. إنه في جوهره خطاب معرفي سواء أكان موضوعه النظر أو العمل. ولا يمكن أن يكون هناك حديث فلسفي دون أن يكون حديثا عن معرفة حقائق الأشياء وعن معرفة عللها".[1]

ومن هذا المنطلق فإن العمل الفلسفي هو في أصله عمل عقلي وبحث من أجل الاقتناع والإقناع بواسطة الحجج، بمعنى البرهنة والمحاجة، فما هو مفهومهما وما الفرق بينهما؟

1. البرهنة والمحاجة:

تطرق في الفصل الأول إلى الآليات الاستدلالية التي يستند إليها الخطاب الفلسفي وتتمثل في:

البرهنة: Démonstration وهي إثبات صدق النتيجة ببيان لزومها بالضرورة أو بالتسليم.[2] ويكفي لبرهنة قضية معينة، تبيان الطريقة التي يمكن استعمالها للوصول إلى القضية في نهاية المطاف، بعد سلسلة من الاستنتاجات.[3]

المحاجة: Argumentation الإتيان بالحجج لترجيح رأي على رأي آخر فيما فيه شبهة أو شك. ولا تكون المحاجة إلا حيث يتعذر البرهان.[4] "ولكي تكون المحاجة ممكنة يجب أن تكون هناك وحدة بين العقول، ويجب أن يكون هناك اتفاق على هذه الوحدة العقلية وعلى الاشتراك في مناقشة مسألة معينة، وهذا ليس أمرا متيسرا دائما".[5] ومعنى ذلك أنه من الضروري أن يتحقق شرط الاتفاق بين الطرفين على ما ما مجال القضية المراد مناقشتها حتى تكون المنطلقات واضحة.

وجميع الحجج الموظفة في النصوص الفلسفية هي ذات طابع حجاجي احتمالي، وليست برهانية قطعية. ولذلك يجب التمييز بين المحاجة والبرهنة وعدم الخلط بينهما.

إن البرهان ذو طبيعة صورية ولا شخصية، كما أنه يستخدم في اللغة الرمزية، ويقبل إما الصواب أو الخطأ، في حين نجد أن الحجاج يستخدم من خلال اللغة الطبيعية، ويستهدف الإقناع الشخصي، مما

---

[1]- محمود يعقوبي: أصول الخطاب الفلسفي، ص18.

[2]- محمود يعقوبي: معجم الفلسفة (أهم المصطلحات وأشهر الأعلام)، الميزان للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، دس، ص18.

[3]- محمود يعقوبي: أصول الخطاب الفلسفي، ص10.

[4]-محمود يعقوبي: معجم الفلسفة: ص32، 33.

[5]-محمود يعقوبي: أصول الخطاب الفلسفي، ص10.

يمنحه طابعا احتماليا ونسبيا.[1] والقيمة الجمالية في هذا المحور تمثلت في ضبط المفاهيم حتى نتعرف على موضوع الخطاب الفلسفي ومجاله.

2. تحاور العقول:

في الفصل الثاني تعرض إلى أهمية تحاور العقول والشروط التي يجب توفرها حتى تتمكن العقول من التحاور وهي كالآتي:

-**لغة مشتركة يتم بها التفاهم:** ومعنى ذلك أن المسائل الفلسفية لا يمكن مناقشتها مع من لا يعرف الفلسفة.

- **وجود مستوى معيّن من المعرفة المتعلقة بموضوع المناقشة:** وذلك حتى نوفر أرضية صلبة للنقاش، من الجدية والكفاءة العلمية والمنطقية.

-**وجود رغبة لدى المتحاورين في تبادل الآراء من أجل الاقتناع والإقناع:** وقد يكون الحافز طلب المعرفة لذاتها، وقد يكون من أجل تحقيق مصلحة معينة.

-**تواضع المناقش مع المخاطب:** وذلك لأنه لا يريد أن يفرض عليه رأيه، بل يريد أن يؤيده وأن يذهب مذهبه، وفي وحدة الرأيين قوة.[2]

في هذا الفصل **تبرز جمالية المبادئ الأخلاقية** التي تكون بين المتحاورين، وتتمثل في تجنب التعصب للرأي وقبول الرأي الآخر، وهو ما عبّر عنه بكلمة **التواضع** فالهدف ليس تحقيق الفوز والغلبة بل إقناع المُخاطَب وكسب تأييده. وفي ذلك إشارة إلى قبول مسألة التنوع والاختلاف في الرأي والتعاون في سبيل المصلحة المشتركة. فالتعصب هو طريق للتطرف والجمود والانغلاق العقلي، وهو ظاهرة مرضية على المستويات الثلاث: المستوى العقلي (الجمود)، المستوى العاطفي (شدة الانفعال)، وعلى المستوى السلوكي (ميل إلى العنف). وهذا يعيق التفاعل الاجتماعي ويعزل صاحبه عن بقية أفراد المجتمع.[3]

لكن يلاحظ أن يعقوبي يوظف مصطلح الحوار والتحاور والمناقشة بمعنى واحد، إلا أن طه عبد الرحمن يصنف الحوار إلى أصناف مختلفة وهي: المجادلة والمناقشة والمناظرة والمباحثة والمفاوضة المخابرة

---

[1]- محمد الشبة: قضايا في تدريس الفلسفة وفي الإنشاء الفلسفي، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، الأردن، 2015، ط1، ص31.

[2] -محمود يعقوبي: أصول الخطاب الفلسفي، ص12.

[3]- مجموعة من الباحثين: الحوار الديني وقضايا التجديد في الفكر الإسلامي المعاصر، مركز البحث في العلوم الإسلامية والحضارة بالأغواط، الجزائر، ط1، 2017، ص41.

(بمعنى البحث عن الخبر). كما يجعل للحوار مراتب متعددة، مثل طور الافتتاح وطور المواجهة وطور المدافعة وطور الاختتام.[1]

3. عناصر الحوار وتكيف المتحدث مع المستمع:

حدّد الأستاذ يعقوبي في الفصل الثالث ثلاثة عناصر أساسية يقوم عليها الحوار هي: المتحدث والمستمع وموضوع الحديث. –**المتحدّث:** يريد إقناع سامعه بما هو مقتنع به، فيستعمل جميع وسائل الإقناع المتاحة له. وعندما لا يتمكن من إقناعه ويشعر بأن استدلاله لم يؤد إلى النتائج المرجوة، يكون المتحدث في هذه الحالة **مستدلا.**[2]

– **المستمع:** يريد أن يفهم ما يقال له من طرف المستدل. "وإذا وجد المستمع في كلام المستدل ما لا يقبله ، فإنه يتحول إلى ناقض لكلام المستدل، ولا يكتفي برفض أقوال المستدل بل يعمد إلى إيراد كل ما في متناوله من وسائل النقض، وفي حالة عجزه عن إبطال دليل المستدل، تبقى حجة المستدل قائمة عليه".[3]

– **موضوع الحديث:** يثار الحوار بين المستدل والناقض إذا كان محل إشكال، وذلك عندما تختلف وتتباين معارف المتحاورين. ولهذا يجب أن يكون موضوع المناقشة من الأمور التي يملك عنها من المعارف ما لا يملكه المستمع الذي متى وجد في هذه خللا تحول إلى ناقض.[4]

لكن على الرغم من وجود إجماع على عناصر الحوار بين المشتغلين بالتنظير للحوار، إلا أن طه عبد الرحمن يشير في كتابه "التواصل والحجاج" إلى أن العلاقة التخاطبية علاقة عملية؛ بمعنى أنها لا تنبني على شرائط الفعل فحسب، بل تنبني أيضا على القواعد الأخلاقية التي تعتبر أصل وركيزة كل حوار.[5]

وتأسيسا على ما سبق ذكره من عناصر الحوار يضيف محمود يعقوبي قاعدة مهمة في الخطاب الفلسفي تمثل أدب الحوار وهي **تكيف المتحدث مع المستمع،** وذلك لأن عدم الفهم هو الذي يتسبب في إفساد الحوار؛ حيث يظن المتحدث (المستدل) أن المستمع يتصور الأمور كما يتصورها هو، وهذا ليس صحيحا، وبالتالي لابد أن تكون وسائل الإقناع لدى المستدل متناسبة مع وسائل الاقتناع لدى المستمع.

---

[1]– طه عبد الرحمن: التواصل والحجاج، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، دط، 1994، ص21.

[2]– محمود يعقوبي: أصول الخطاب الفلسفي، ص14.

[3]– المصدر نفسه: ص ص 14، 15.

[4]– المصدر نفسه: ص15.

[5]– طه عبد الرحمن: التواصل والحجاج، ص22.

لكن ينبغي ألا يكون مستوى المستمع هو الذي يتحكم في مستوى المناقشة وفي قيمة الحجج المستعملة فيها؛ لأن ذلك قد يؤدي إلى تغيير طبيعة المشكلة وفي الاستدلال عليها.[1]

والمشكلة التي يقصدها يعقوبي هي التي تشد الذهن إليها، وتدعو الباحث إلى البحث عن الحلول الممكنة. وللوصول إلى جدية المشكلة في الخطاب الفلسفي يصنّف يعقوبي الباحث إلى ثلاثة أصناف فيكون إما مبدعا وإما شارحا، وإما مصححا.[2]

وعليه فإن الخطاب الفلسفي هو في جوهره خطاب معرفي وعمل عقلي، ولا يمكن أن يكون إلا بحثا من أجل الاقتناع والاقناع بواسطة الحجج. ومن هنا يحرص المستدل (صاحب الاقتناع) على إقناع الغير ومن ثمّ موافقتهم على رأيه؛ "لأن التمسك بالرأي مع اعتقاد صحته تزداد مشروعيته لدى صاحبه ولدى غيره بزيادة عدد المقتنعين به".[3] ومن هنا فإن **جمال البحث الفلسفي** يكمن في قوة حججه وقدرته على الإقناع، بالإضافة إلى توفر الشروط اللغوية والفلسفية والمنطقية.

وعلى هذا الأساس يقسم يعقوبي البحث الفلسفي إلى ثلاثة أنواع فهو إما أن يكون إبداعا، وإما حديثا عن إبداع فلسفي أو نشرا وتحقيقا لإبداعات فلسفية.

في حالة الإبداع: يقدم تصورا جديدا لشيء من الأشياء أو تفسيرا جديدا لأمر من الأمور، وفي الحالتين لابد من توظيف مبادئ العقل لمعالجة معطيات المشكلة التي يخوض فيها. "والمعرفة المستمدة من المبادئ هي التي تعبّر عن الرؤية الأصيلة في مجالي التصورات والتصديقات وهي التي يدخل بها أصحابها تاريخ الفلسفة، لأنها تمثل معالم الطريق الذي يتحرك فيه التفلسف".[4] وهذا يعني أن الإبداع الفلسفي يقدم معرفة عقلية مستمدة من المبادئ، وإما أن يقدم معرفة تاريخية مستمدة من النتائج.

الحديث عن الإبداع الفلسفي: ومعناه التعرض إلى جميع البحوث التي تتحدث عن إبداعات فلسفية أيا كان الغرض منها: إثبات وجود هذا الإبداع، أو سبق صاحبه على غيره، أو أفضليته على غيره الشبيه به. ومنه فإن مجال هذا البحث هو استنطاق النصوص التي سجلت هذه الإبداعات.[5]

نشر وتحقيق لإبداعات فلسفية: ومن خلال هذه العملية يتم الكشف عن التصورات الخفية وعن التفسيرات الجديدة لدى المبدعين.[1]

---

[1]- محمود يعقوبي: أصول الخطاب الفلسفي، ص16، 17.

[2]- المصدر نفسه: ص21.

[3]- المصدر نفسه: ص19.

[4]- المصدر نفسه: ص22، 23.

[5]- المصدر نفسه: ص23

ومن هنا ندرك تنوع عمل الباحث في الفلسفة، فدوره لا يقتصر على ذكر تاريخ المذاهب الفلسفية وعرض أفكار الفلاسفة، وإنما بإمكان الباحث أن يبدع ويضيف تصورات فلسفية جديدة، أو تفسيرات أخرى لمشكلات فلسفية، وفي **كل عمل إبداعي قيمة جمالية** تزيده بهاء. إلا أن الإبداع الفلسفي لا ينطلق من العدم بل من الأفكار الفلسفية السابقة. كما أن البحث الفلسفي المبدع يعتقد صاحبه أنه صواب ومن ثمّ فهو مقتنع به، وبإمكانه أن يقنع به غيره، الأمر الذي يؤدي إلى توسيع آفاق المعرفة الفلسفية.

4. منطلقات الإقناع:

حدّد الأستاذ يعقوبي منطلقات منطقية عند الحوار والمناقشة وذلك من أجل الإقناع.

المنطلق الأول يتمثل في المبادئ المنطقية التي يكشف بها العقل عن العلاقة بين تصور وأخر من جهة، وبين تصديق وآخر من جهة ثانية. وهي حقائق لا يمكن الشك في صحتها مثل قواعد التعريف وقواعد القياس والاستنتاج؛ لأنها تعتمد على مبادئ العقل وقواعد المنطق، التي تضمن سلامة التفكير وتجنب الوقوع في الخطأ أو التناقض، وتعتبر من الشروط الأساسية لإمكان حصول الحوار مع الغير.[2]

المنطلق الثاني هي الوقائع التي يمكن للباحث أن ينطلق منه، والواقعة هي حكم إيجابي عن الواقع الخارجي بحيث يمكن أن تتفق العقول على المعطيات الموضوعية الخارجية. "وبهذا المعنى تنحصر الوقائع التي يمكن أن ينطلق منها الباحث في معطيات التجربة الإدراكية الباطنية أو الخارجية من جهة، وفي آراء غيره سواء أكانت أقوالا منطوقة أو نصوصا مكتوبة من جهة أخرى.[3]

القيمة الجمالية في هذه المنطلقات تكمن في ربط المعطيات النظرية المستمدة من المنطق الصوري وتوظيفها في الخطاب الفلسفي. حسب يعقوبي الإقناع في الفلسفة يرتبط بالأحكام الصادقة، والأحكام على نوعين تحليلية وتركيبية، تكون الأحكام التحليلية صادقة متى كانت مطابقة للعقل، وتكون الأحكام التركيبية صادقة متى كانت مطابقة للواقع. وتحديد المنطلقات وضبطها منذ البداية يؤدي إلى النجاح في التحاور والتواصل مع الغير.

5. الحوار الفلسفي والدقة:

يؤكد الأستاذ يعقوبي على أهمية **الدقة في التعريفات**، فكلما كانت المعاني واضحة ومحدّدة، وبما أن تبادل المعاني لا يمكن أن يحصل إلا بواسطة الألفاظ، فمن واجب المتحدث تحديد مدلولات ألفاظه حتى

---

[1]- المصدر السابق: ص23.

[2]- المصدر نفسه: ص25.

[3]- المصدر نفسه: ص26، 27.

يمنع المستمع من الانزلاق من معنى إلى معنى آخر، وثمّ يحق للمستمع مطالبة المتحدث بتحديد معاني ألفاظه؛ لأن الحديث يفقد طابعه الفلسفي عندما يشوبه اللبس والإبهام،[1] خاصة إذا علمنا أن فعل التفلسف يتميّز بنزوعه نحو صناعة المفاهيم.

هذا إلى جانب **الدقة في الاستدلالات**، ودقة الاستدلال تكون باستعمال العناصر الموصلة إلى المطلوب وفقا لترتيب متصل لا يترك بينها فجوة تنقطع بها حركة الاستدلال. بما أن الغرض من الحوار الفلسفي هو الإقناع، "فإن الإقناع لا يمكن أن يحصل إلا بالحجة التي هي حركة عقلية قبل أن تكون بنية لفظية مؤلفة من عناصر معينة، تربط بينها علاقات معينة، وتترتب فيما بينها ترتيبا معينا. ويقدم مثالا لتقريب المعنى إلى الأذهان ويتمثل في رد الإمام الغزالي على الباطنية الذين يبطلون النظر العقلي، إذ لا يمكن تجريد الدليل من مضامينه الثقافية النفسية والاجتماعية.[2] ومن أجل ذلك لابد من مراعاة الدقة عند صياغة المفاهيم وبناء الحجج، ولكي يكون الحوار ناجحا يجب أن تكون دلالات الألفاظ واضحة ودقيقة والحجج مقنعة؛ لأن سوء التفاهم ينتج عن عدم الاتفاق على ما يقصده المتكلم سواء أكان ذلك عند استعمال الألفاظ أو عند توظيف الآليات الاستدلالية.

تتجلى **القيمة الجمالية** عند الالتزام بالدقة في التعريفات والاستدلالات، في وضوح المعاني والتماسك المنطقي، وهذا من أجل تجنب التباس المعاني وحلول بعضها محل بعض سهوا، أو إحلال بعضها محل بعض عمدا، وذلك حتى يفهم المستمع معاني الكلمات التي يوظفها المستدل. (تعرض في الفصل الحادي عشر إلى مداخل اللبس في الحوار الفلسفي).

6. ابتكار الخطاب الفلسفي:

ينبغي الخطاب الفلسفي أن يكون جميلا وجماله يبدأ عند وجود الروح الفلسفية لدى الباحث وقدرته على القيام بالبحث الفلسفي في أبهى صوره. ولهذا يؤكد الأستاذ يعقوبي على أن الاكتفاء بالتوجيهات وتقديم القواعد والشروط النظرية التي تبيّن لنا سبل ابتكار الخطاب الفلسفي غير كافية؛ وذلك لأن الإبداع في الفلسفة هو تحدٍ فكري يمارسه المفكر بأدواته الخاصة، زيادة على ذلك، فإن الخطاب الفلسفي يتولد عند مواجهة مشكلة، والباحث هو الذي يعثر عليها ويكتشفها، ومن هنا تكون القدرة على اكتشاف المشاكل الفلسفية من صميم القدرة على البحث الفلسفي. "لكن الخطاب الفلسفي لا يبتكره صاحبه من العدم، بل هو ينبثق دائما من معترك الآراء والمذاهب؛ لأن كل فلسفة إنما هي فلسفة من حيث هي مجاوزة لفلسفة أخرى

---

[1] – المصدر السابق: ص35.

[2] – المصدر نفسه: ص38.

سابقة، أو شرح لها، أو تصحيح لها."[1] لكن ابتكار الخطاب الفلسفي ليس عملا بسيطا بل يتطلب توفر الشروط المعرفية و المنهجية.

أ. الشروط المعرفية:

لم تخلو الشروط المعرفية من **القيم الجمالية**، فحسب يعقوبي فإن البحث الفلسفي لا يكون مبدعا وجميلا إلا إذا كان الباحث مطلعا على جميع ميادين الفلسفة ليعرف حدود كل ميدان، ويكتسب القدرة على التحليل والمناقشة بازدياد معارفه الفلسفية، فيتحول من مرحلة التلقي إلى مرحلة العطاء، ومن الانفعالية الفلسفية إلى الفاعلية الفلسفية حتى يتحرّر من قيد التقليد.[2]

هذا بالإضافة إلى شرط آخر وهو عدم الإفراط في التخصص، فبعد إلمام الباحث بمجال تخصصه (مجال محدد من مجالات الفلسفة)، عليه أن يبقى دائما على صلة بما يجري خارج مجال تخصصه، خاصة المجالات القريبة من تخصصه. مثال ذلك المتخصص في المنطق ينبغي أن تكون له دراية بعلم النفس العام، فلسفة اللغة، وفلسفة الرياضيات، وفلسفة العلوم.[3]

ويمكننا الكشف عن **المضمون الجمالي** عندما يدعو إلى قبول الرأي الآخر بعيدا عن الهيمنة الفكرية، ومن ثمّ الاستعداد لتقبل الجديد والحذر من التعصب للرأي أو للمذهب. وهذا حتى يتمكن من تصحيح الرأي في التصورات والتصديقات إن ظهر فسادها. إذ التعود على النظر إلى المشاكل من زاوية واحدة، قد يحجب زوايا أخرى من المشكلة.[4] وفي مقابل التعصب للرأي نجد الحرية الفكرية أو المرونة الفكرية، والاستعداد لتغيير الرأي في التصورات أو التصديقات عندما يقوم الدليل على ذلك.

ويظهر **البعد الجمالي** عند الاستقلال بالرأي والتحرر من السلطة العلمية التي يمارسها الفلاسفة الكبار الذين كثيرا ما تسيطر آراؤهم على المجالات الفكرية لدى جيل بأكمله، وأحيانا لدى عدة أجيال، مثل تأثير أفلاطون وأرسطو في المفكرين المسلمين والمفكرين الأوروبيين؛ وهذا معناه رفض البقاء مع نفس الأفكار نلوكها ونكررها بعيدا عن الإبداع والتجديد. لكن لن يتسنى لنا ذلك إلا عمل الباحث على تنمية روح الاجتهاد وبذل قصارى الجهد في السعي لمعرفة الحقائق، وعدم التساهل في التعامل مع المعاني الفلسفية،

---

[1]- المصدر السابق: ص85.

[2]- المصدر نفسه: ص86.

[3]- المصدر نفسه: ص88.

[4]- المصدر نفسه: ص89.

والإلحاح في البحث والتحقيق من أجل الوصول إلى حقيقة المطلوب إن كان تصورا، وإلى علته إن كان تصديقا.[1]

ب. الشروط المنهجية:

إذا تأملنا هذه الشروط، نلاحظ حرصه الشديد على **مراعاة الذوق الجمالي في الخطاب الفلسفي،** إذ ينبغي مراعاة الترابط المنطقي بين الأفكار وذلك بعد تسجيلها بشكل مرتب بحسب الموضوعات أو بحسب القائلين، وأيضا بحسب علاقتها بموضوع البحث. ثم يقوم الباحث بعد ذلك بتمحيصها وتنقيحها. بالإضافة إلى التدريب على طرح المشاكل طرحا جيدا، وتحليل الألفاظ والتراكيب تحليلا لغويا لأنه وسيلة للتحليل المنطقي، فالمعنى يرتبط ارتباطا منطقيا بمعنى آخر. وتحليلا فلسفيا بتحويل المشكل العام إلى مشاكل جزئية أبسط، معالمها واضحة، وعلاقاتها المنطقية دقيقة. هذا بالإضافة إلى ترتيب الأفكار من البسيط إلى المركب، ثم جمعها ومراجعتها،[2] وكل ذلك سيضفي على الخطاب الفلسفي مزيدا من الجمال. هذا إلى جانب الإحاطة بجميع جوانب المشكلة لمعرفة جميع المعطيات اللازمة لمعالجتها، وترتيب هذه الجوانب بحسب ترابطها المنطقي الذي يكشف عن بنية المشكلة. والتثبت من عدم إقحام ما ليس له علاقة بالمشكلة حتى لا نفسد تجانس البحث وتناسقه.[3] إذن جودة العمل الفلسفي مرتبطة بتوفر الشروط المعرفية والمنهجية، ومهما كان هذا المضمون غزيرا، فإن صورة عرضه تؤثر في قيمته.

في الفصول الأخيرة تطرق إلى كيفية الاستشهاد من المصادر والمراجع، وبعد ذلك ينتقل إلى هيكلة الخطاب الفلسفي من حيث تبويب البحث واستخلاص نتائجه ثم اللواحق والفهارس وقائمة المصادر والمراجع. وهنا تكون **الأمانة العلمية هي موطن الجمال؛** إذ تعدّ أهم ركيزة أخلاقية في البحث العلمي، حيث يؤكد محمود يعقوبي على ضرورة تبيان مصدر المعلومة، فهل هي من المعاجم والموسوعات الفلسفية؟ أم من المصادر والمراجع؟ وكيف يتم تقسيم البحث وتبويبه؟

وعليه يتجلى **جمال البحث الفلسفي** في الترابط المنطقي بين أقسامه، والتدرج في عرض الأفكار، وذلك من خلال استخدام مجموعة من المهارات العقلية كالتحليل والربط والمقارنة والتركيب وتوظيف الأمثلة. بالإضافة إلى إبراز المنطق الحجاجي من أجل إقناع القارئ أو المستمع.

---

[1]- المصدر السابق: ص93.

[2]- المصدر نفسه: ص96.

[3]- المصدر نفسه: ص98.

وهذا ما كان مطبقا في فصول هذا الكتاب "أصول الخطاب الفلسفي"، فقد كانت الفصول مرتبة ترتيبا منطقيا، حيث عرض محمود يعقوبي أسس الحوار وعناصره، ثم منطلقات الحوار وشروطه، وبعدها أنواع البحث الفلسفي، وابتكار الخطاب الفلسفي (الشروط المعرفية والشروط المنهجية)، وصولا إلى استعمال المصادر والمراجع. وقد راعى في ذلك الترتيب والتدرج منتقلا من الحوار إلى بناء وابتكار الخطاب الفلسفي مع وجود التماسك المنطقي بين الفصول.

ونظرا لاهتمام محمود يعقوبي بالذوق الجمالي في العمل الفلسفي، يشير في كتابه "مدخل إلى المقالة الفلسفية" إلى ضرورة **اتصاف المقالة الفلسفية بالجمال** فيقول: "ينبغي أن تكون المقالة جميلة، وجمالها في تناسب أقسامها مثلما ينبغي أن تكون متينة ومتانتها في إحكام الترابط بين هذه الأقسام. لكن المقالة ينبغي أن تكون أنيقة في تعابيرها، رشيقة في انتقالاتها، دقيقة في ألفاظها، جلية المعاني ومحكمة المباني، فصيحة اللغة، تفصل بين جملها الفواصل المعبرة. ولا تستعمل الاستعارات والمجازات إلا ما دعت الضرورة إليه من أجل الإفصاح والبيان."[1]

خاتمـــــة:

يسمح التعليم بإنضاج الوعي واستنارة العقل ومنحه منطق التفكير العلمي، ولذلك اهتم الأستاذ يعقوبي بتأسيس تعليمية الفلسفة فألف كتبا ومقالات في حقل التربية وتدريس الفلسفة، ومن بينها كتابه "أصول الخطاب لفلسفي" الذي أعاد من خلاله صياغة الخطاب الفلسفي بمنهجية واعية، واضحة المعالم، لا تخلو من القيم الجمالية؛ حيث يبيّن للمتعلمين أن التفلسف ليس نشاطا ذهنيا عقيما، بل سعي حثيث لإزالة الغموض والالتباس، ويمكن تحقيق ذلك بغرس وتعزيز قيم جمالية ذات دلالات أخلاقية وفكرية مثل: تنمية القدرات العقلية والإبداعية، اكتساب آليات التفكير الفلسفي: الأشكلة والمفهمة والمحاجة والنقد والتحليل المنطقي، أدب الحوار (تكيف المتحدث مع المستمع)، سبل الإقناع، بلورة المسار المنطقي للحجاج....ومن خلالها تتجلى علاقة الإدراك الجمالي بالعقل الإبداعي.

المصادر والمراجع:

-**محمود يعقوبي:** أصول الخطاب الفلسفي (محاولة في المنهجية)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1993.

-**محمود يعقوبي:** المدخل إلى المقالة الفلسفية، مكتبة الشركة الجزائرية، الجزائر، ط2، 1981.

[1]- محمود يعقوبي: المدخل إلى المقالة الفلسفية، مكتبة الشركة الجزائرية، الجزائر، ط2، 1981، ص43.

-**محمود يعقوبي:** معجم الفلسفة (أهم المصطلحات وأشهر الأعلام)، الميزان للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، دس.

-**ابن منظور:** لسان العرب، مج1، دار التراث العربي، بيروت، د ط، د س.

-**داود خليفة:** تحليل الخطاب في المناهج النقدية المعاصرة بين الفلسفة والأدب، مجلة دراسات في التنمية والمجتمع، مج 6، ع1، 2021.

-**شريف الدين بن دوبه:** وجيز يعقوبي في الفلسفة، ضمن كتاب جماعي: محمود يعقوبي، شهادات ودراسات، منشورات مخبر التربية والابستمولوجيا، الجزائر، د ط، 2012.

-**طه عبد الرحمن:** التواصل والحجاج، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، دط، 1994.

-**طه عبد الرحمن:** في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، بيروت، المغرب، ط2، 2000.

-**مجموعة من الباحثين:** الحوار الديني وقضايا التجديد في الفكر الإسلامي المعاصر، مركز البحث في العلوم الإسلامية والحضارة بالأغواط، الجزائر، ط1، 2017.

-**محمد الشبة:** قضايا في تدريس الفلسفة وفي الإنشاء الفلسفي، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، الأردن، 2015، ط1.

-**محمد عابد الجابري:** الخطاب العربي المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت،ط6 ، 1999.

Encyclopedia universalis, Editeur 1,Paris,1990,dic 59.

Emile Benveniste, Problèmes de L'linguistique générale, Gallimard, Paris,1974.